

كوكاكولا والصهيونية

كيرستن شايد*

فيقول: «تُسهّم كوكاكولا إسهامًا عظيمًا في الاقتصاد الإسرائيلي لكونها توظّف آلافًا من الإسرائيليين وتُعتبر واحدًا من أكبر رُعاة إسرائيل غير الحكوميين.»^(٣) كيف؟

ماديًا، تعرّز كوكاكولا الاقتصاد الإسرائيلي من خلال استثمارها في عدد من الشركات الإسرائيلية، ومنها: مياه نيفيوت (إذ اشترت كوكاكولا ٤٣٪ منها بـ ٢٥ مليون دولار)، وستور أالينس (التي حصلت كوكاكولا على ٣٣٪ منها مقابل ٥ ملايين دولار)، ومخمرة مرتفعات الجولان (التي اشترتها كوكاكولا عام ٢٠٠٢).^(٤) وهذه العملية التجارية الأخيرة تشير إلى أنّ سياسات كوكاكولا المؤيِّدة للصهيونية تشمل دعمها للتوسّع الإسرائيلي عبر الاستيطان غير الشرعي. الجدير ذكره أنّ هذه المخمرة كادت أن تُفلس بسبب الضغوط السياسية التي مورست على «إسرائيل» للتخلّي عن مستوطناتها في سوريا، إلا أنّ استثمار كوكاكولا

[ملاحظة: هذه الورقة المخصّصة لكوكاكولا لا تبرّئ منافسيها، ولا سيّما بيبسي كولا التي استثمرت كثيرًا في بعض الشركات الإسرائيلية].

مؤخرًا طلب زاهي خوري، وكيل كوكاكولا في الضفة وغزة، من الناس أن يوقفوا مقاطعتهم لكوكاكولا لأنّ فرعه يوظّف حوالي ٢٠٠ فلسطيني.^(١) لكنّ السؤال الملحّ هو: مَنْ سيتأدّى أكثر جرّاء مقاطعة هذه الشركة، الإسرائيليون أم الفلسطينيين والعرب؟ الجواب يتوقف على تحليل دقيق لنشاطات كوكاكولا في الكيان الصهيوني.

«إنّه أكثر من مجرد شراب» (شعار الشركة عام ١٩٦٥)

باشرت كوكاكولا أعمالها في «إسرائيل» عام ١٩٦٨ كجزء من قرار إدارتها الأميركية دعم هذا الكيان.^(٢) ويلخص موقع الشركة العبري الطرق التي عززت فيها الدولة الصهيونية،

❖ عضو في هيئة تحرير مجلة الأراب، ونادي الساحة.

١ - أنظر زاهي خوري في مقابلة مع رشا الأطرش، السفير، ٢٤ تموز، ٢٠٠٣، ص ٦.

٢ - كان فرع كوكاكولا في إسرائيل يملكه أبراهام فاينبرغ، وهو مستشار الرئيس الأميركي ليندون جونسون وأحد دعاة إعطاء مساعدات حكومية أميركية أكبر لإسرائيل. Donald Neff, Washington Report on Middle East Affairs, Nov/Dec 1996, p. 96.

٣ - www.cocacola.co.il/information/cola-israel/israel3.htm.

٤ - Sharon Berger, Jerusalem Post, July 17, 2000; CRM Daily, Dec 18, 2000; Yediot Ahranot, Jan. 23, 2002.

والفالوجة) كان سكانهما والمقاتلون الفلسطينيون والجيشُ المصري قد مَنَعوا العصابات الصهيونية من الاستيلاء عليهما عام ١٩٤٨. وبحسب الهدنة المصرية - الإسرائيلية عام ١٩٤٩ بإشراف الأمم المتحدة فقد وافقت إسرائيل على السماح للمدنيين بالبقاء في بلدتيهم،^(٧) لكنّها عادت فطردتهم في عملية ترهيبٍ فصلّها المؤرِّخ الإسرائيلي بني موريس في كتابه: **نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧ - ١٩٤٩**.

وفي عام ١٩٥٥ بدأ الاستيطان اليهودي في كريات غات، لكنّه واجهَ مصاعبَ كبيرةً بسبب شحّة الموارد المائية وتنوّع خلفيات المستوطنين الإثنية.^(٨) ومازالت كريات غات حتى اليوم «بلدّة مرصودةً للتنمية»، سكانها يبلغون ٤٩ ألفاً من المهاجرين من أثيوبيا والاتحاد السوفياتي، ونسبة البطالة فيها ١٢٪. وقد وصفها **جيروزاليم بوست** بالتالي: «إنّ هذا المكان متعطّشٌ للوظائف تعطّش الصحرَاء إلى النداءة»^(٩)، وها إنّ كوكاكولا تأتي لتطفي ذلك العطش! فمصانع كالتي تبنيها في عسقلان وكريات غات تقدّم لموظفيها أجوراً معقولة وعيشاً مقبولاً في هاتين البلديتين المدقعتين. كما أنّها تتيح للحكومة الإسرائيلية مواصلةً استقدام اليهود، في حين تمنع الفلسطينيين من العودة.

«**الشيء الحقيقي لا يُقهر**» (شعار كوكاكولا عام ١٩٩٠) أما اجتماعياً ورياضياً وفنياً، فكوكاكولا هي «الشيء الحقيقي»... بالنسبة إلى إسرائيل الصهيونية. فهي ترعى المنتخب الإسرائيلي لكرة السلة «حيث تصرف مبالغ طائلة سنويّاً»، فضلاً عن رعايتها لسباقات الماراتون الإسرائيلية ولباريات كرة المضرب وغير ذلك. كما أنّها تروّج إسرائيل باعتبارها قبلةً للفنون، فترعى مهرجان الجاز في أراد على البحر الأحمر كل سنة.^(١٠) علاوة على أنّها تقدّم لموظفيها المشحونين من الاتحاد السوفياتي (السابق) صفوفاً في «تاريخ إسرائيل» بهدف مساعدتهم على اندماج أفضل بالمجتمع الإسرائيلي.^(١١) غير أنّ الأسوأ هو الدعم المؤسساتي. فالأموال التي تتلقاها الشركة الأم من وكلائها في العالم يذهب جزءٌ منها إلى جمعيات

في تلك المخمرة أضيف عليها استقراراً مالياً وسلطةً سياسية.^(١) والحال أنّ ذلك لم يكن أول استثمار لكوكاكولا في المستوطنات: فحتى تموز ٢٠٠٠ كانت تملك شركة مياه في الجولان اسمها «مايانوت ايدن» التي تسوّق المياه المسروقة من نبع السلوقية إلى مناطق ٤٨.^(٢)

كما تروّج كوكاكولا، على مستوى إدارتها في أتلانتا، للاستثمار الأميركي في الشركات الإسرائيلية عامةً، من خلال رعايتها لمؤتمرات تجارية. ففي ١١/١٠/٢٠٠١ مثلاً، استضافت مهرجاناً لجوائز «ايغل ستار» تنظّمه غرفة التجارة الأميركية - الإسرائيلية، وفيه قدّم وزير الاقتصاد الإسرائيلي إلى شركات أميركية جوائز من قبيل «أفضل شركة في إسرائيل لهذا العام».^(٣) كما كُرّمت كوكاكولا بدورها من قبل البعثة الاقتصادية الإسرائيلية عام ١٩٩٧. وقد حصّ مانحو الجوائز بالذكر موقفَ كوكاكولا الراضٍ للمقاطعة العربية برغم «الأضرار المالية الخطيرة، والمقدّرة بملايين الدولارات» الناجمة عن تلك المقاطعة.^(٤)

أما سياسياً فتُسهم كوكاكولا في بناء «وقائع عن الأرض» تُهدف إلى منع تطبيق حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم. وقد أعلنت الشركة هذا العام عزمها على نقل مصنعها من «بناي براك» إلى أرض في عسقلان اشترتها من دائرة أرض إسرائيل لقاء ٨،٤ مليون دولار.^(٥) هذا المصنع سيُشيد على أنقاض ثلاث بلدات فلسطينية (بينها الخصاص والجورة) سبق أن تعرّضت لتطهير عرقي طال أكثر من خمسة آلاف مواطن عام ١٩٤٨.^(٦) ولم يتمّ تعويض المالكين الفلسطينيين الأصليين، ولا أعيدوا إلى أراضيهم، وهو ما يعني أنّ كوكاكولا اشترت أرضاً مسروقة.

كما أعلنت الشركة في تموز ٢٠٠٢ أنّها ستبني مصنعاً جديداً في كريات غات يوظّف ٧٠٠ إسرائيلي إضافيين، وذلك لقاء ملايين الدولارات تُنقصها الحكومة الإسرائيلية من الضرائب المتوجّبة عليها. والمعلوم أنّ كريات غات هي الأخرى مستوطنةً بُنيت على أنقاض بلديتين فلسطينيتين (عراق المنشية

١ - "The Future of Water and Wine," Jerusalem Post, Dec. 17, 1999.

٢ - Ibid, and Berger, op cit.

٣ - "Eagle Star Awards Finalists Named," American-Israel Chamber of Commerce Southeast Region e-Newsletter, 7-9/2001.

٤ - موقع كوكاكولا العبري، مصدر مذكور.

٥ - Haaretz, July 19, 2002.

٦ - "Asqalan," <http://netfinitv2.PalestineRemembered.com/GazaTownSnapshot.html>

٧ - Henry Norr, San Francisco Chronicle, July 8, 2002.

٨ - "Qiryat Gat," http://www.travelnet.co.il/israel/TelAviv/tel06-QIRYAT_GAT.htm

٩ - Hanna Scher, Jerusalem Report, Aug. 2, 1999.

١٠ - موقع كوكاكولا العبري، مصدر مذكور.

١١ - "Coca-Cola Culture," Meitar, <http://www.meitar.org.il/news/news.htm> (10 & 11XX)

«خيرية» مختلفة، من ضمنها فرع «الخيريات اليهودية المتحدة» في أتلانتا.^(١) هنا يجب التشديد على أن هذه التبرعات تأتي من إدارة الشركة لا من الموظفين، ثم يخصص جزء منها «لوفاء بحاجات شركائنا في الخارج، كالوكالة اليهودية من أجل إسرائيل JAFI...»^(٢) كما يُستخدم جزء آخر داخل الولايات المتحدة من أجل تمويل «فرق الضغط... الداعمة لإسرائيل»، بما في ذلك «إرسال بعثات تضامن إلى هناك»^(٣)

الجدير ذكره أن الاستفادة الأساسية من تبرعات إدارة كوكاكولا، وأعني JAFI، مكرّسة لتشجيع علاقات إسرائيل بالشتات اليهودي ولتنمية عوامل الازدهار فيها. وتُشكل المعونات التي تقدّمها من أجل التشجيع على الهجرة إلى إسرائيل جزءاً ضخماً من ميزانيتها، «وتشمل خدمات من نوع التحضيرات ما قبل الهجرة، ومراكز الاستيعاب، وتعليم اللغة العبرية، وبرامج إعادة الاستيطان... كما أن الوكالة منخرطة بالتربية اليهودية - الصهيونية على مستوى العالم»^(٤)، إذن، في الوقت الذي يُحرم فيه الفلسطينيون من حق العودة، فإن الأموال التي تتبرع بها كوكاكولا تمكّن اليهود من العيش وكأنهم فعلاً شعب الله المختار!

قد يحتج البعض بالقول إن تبرعات إدارة أي شركة هي ممارسة شائعة في مجال الأعمال، وإن التبرع للخيريات الصهيونية لا ينفك عن تفضيل سياسي. لكن أحد الأهداف الأساسية لمقاطعي داعمي إسرائيل هو نشر الوعي بأن «الخيريات» الصهيونية تُنشر العنصرية وتدوس على حقوق الإنسان، ولذلك لا يمكن مقارنتها بالمنظمات الخيرية المحايدة. إن كوكاكولا تزعم «أننا سنواصل العمل كشركات/ مواطنين نموذجيين، فنغير باستمرار قراراتنا المهنية من أجل تحسين نوعية الحياة في المجتمعات التي نعمل فيها»^(٥)، ولكن هل يعني «تحسين نوعية الحياة» الدوس على حياة الفلسطينيين؟ إن كوكاكولا، بتبرعها للخيريات الصهيونية، تناقض مبادئ عملها المعلنة!

«أحب أن أشتري كوكاكولا للعالم» (شعار رسمي للشركة)
والآن ماذا عن نشاط كوكاكولا في مناطق السلطة الفلسطينية؟ حتى عام ١٩٩٨ كانت شركة إسرائيلية تملك رخصة تسويق منتوجات كوكاكولا في كامل فلسطين التاريخية.^(٦) لكن زاهي

خوري قاد عدداً من المستثمرين الفلسطينيين الآخرين لشراء رخصة التسويق في الضفة وغزة. وفي آب ١٩٩٨ أعاد تصميم الشركة الوطنية للمشروبات في بيتونيا لإنتاج منتوجات كوكاكولا بكلفة أولية تقدر بـ ٢٠ مليون دولار.

اعتبرت كوكاكولا نُقل إدارة مبيعات منتوجاتها في مناطق ٦٧ إلى رجل أعمال فلسطيني عملاً يصب في صالحها. وقال إيان شاكلتون، وهو مدير كوكاكولا - إسرائيل: «لقد انخفضت المبيعات إلى المناطق الفلسطينية خلال الأعوام القليلة الماضية، بدءاً بالانتفاضة [الأولى]»^(٧) ويشرح ريتشارد أيزاك، مدير تسويق كوكاكولا في الضفة وغزة وإسرائيل، ذلك بالقول: «عثرنا على فرصة لتطوير عملنا، وفرصة للشراكة مع الشركة الوطنية للمشروبات، وهي شركة مهيأة للنمو بشكل حسن»^(٨)

غير أن الفرصة واتت كوكاكولا أيضاً في العالم العربي كله، الذي بقي مقاطعاً لهذه الشركة حتى عام ١٩٩٣ بسبب دعمها لإسرائيل. ولما كانت كوكاكولا تتطلع إلى أن تستثمر ٢٠٠ مليون دولار في مشاريع داخل العالم العربي لتجاوز شعبية بيبسي كولا في هذا العالم، فقد احتاجت إلى «غطاء» فلسطيني.^(٩) لكن هذا المشروع يورط الفلسطينيين في مساومة سياسية بالغة الأهمية، لأن القدس الشرقية بقيت ضمن مجال المزود الإسرائيلي! وهكذا نجد أن شركة خاصة فرّضت وجهتها السياسية المناقضة للاتفاقات الدولية التي تعتبر احتلال إسرائيل للقدس عملاً غير شرعي.

تزعم كوكاكولا برئاسة خوري أنها في العام ٢٠٠١ وظفت ٣٠٠ فلسطيني، وأن ما يقرب من ٦٠٠٠ عائلة فلسطينية استفادت من وجود الشركة؛ أي أن مجموع المستفيدين بحسب كوكاكولا، هو ٣٠ ألف فلسطيني على الأكثر.^(١٠) وتقدر الشركة استثماراتها في الاقتصاد الفلسطيني بـ ١٥ مليون دولار سنوياً.^(١١) غير أن أداءها في مناطق السلطة الفلسطينية خاضع لاستنسابية سلطات الاحتلال الإسرائيلية، ومنذ اندلاع الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠ أدت تزايد الحواجز الإسرائيلية وإغلاق بلدات فلسطينية بأكملها إلى انخفاض التوزيع بشكل هائل. «إنهم يرجعوننا من حيث جئنا أربعة أيام في الأسبوع. كئنا نزود ٤٠ مخزناً في اليوم

١ - ٢ - ٣ - ٤ "How Federation Dollars Deliver Overseas," http://www.shalomatlanta.org/content_display.html?ArticleID=4740

٥ - <http://www2.coca-cola.com/ourcompany/theactions.html>

٦ - Nina Gilbert and Mohmed Najib, Jerusalem Post, July 27, 1998.

٧ - Gilbert and Najib, Qp cit.

٨ - "Coca-Cola Comes to Palestine," Palestinian Economic Pulse, Sept. 1998.

٩ - أنظر مثلاً: Gilbert and Najib, qp cit.

١٠ - http://www2.coca-cola.com/contactus/myths_rumors/middle_east_ads.html.

١١ - Kate Mullen and Dana Mubaidin, May 14, 2002 at <http://www.middleeastevents.com/businesspress/press959.htm>.

يكن هناك كوكاكولا في فلسطين لدَعْوَتُها إلى هنا لكي نَعْلَم ما معنى العمل المؤسساتي، وما معنى الشفافية، وما معنى تنمية الطاقة البشرية...» يقول خوري^(٦) ويكمل: «أما إذا واصلنا هذه السياسة الحمقاء فسنَرْجِع إلى العصر الحجري. علينا أن نخوض حربنا بطريقة أذكى. إذا أردنا التقدم فإنَّ على مفهوم المقاطعة أن يعاد النظر فيه.» حين نَسْمَع مثل هذا الكلام المليء بالغرور الفارغ فإنَّ من الضروري أن نتذكَّر أنَّ خوري لا يدافع عن إنتاج شيء لا حياة لنا بدونه (كالدواء أو القمح أو الاسمنت) بل هو محض شراب بالكافيين وغارق بالسكَّر ومرتبب بأمراض السكري والسمنة المفرطة وغيرهما^(٧). إنَّ الكوكاكولا يُمكن استبدالها في أحسن الأحوال، وهي تهدد الحياة في أسوأ الأحوال، لكنَّها في كل الأحوال لا تحافظ على الحياة!

أ يكون على مفهوم المقاطعة أن يعاد النظر فيه، أم أنَّ فكرة خوري عن المقاطعة هي التي يجب أن يُعاد النظر فيها؟ إنَّ المقاطعين لا يَهْدِفون إلى إغلاق الشركات بل إلى حَضِّها على تغيير سياساتها إنَّ كانت تريد مواصلة أرباحها. وهذا يعني أنَّ المقاطعة تستطيع أن تستهدف شركة ما فتؤذيها (بالمقارنة مع مبيعات منافساتها) وإنَّ لم تؤثر كثيراً في مبيعاتها. مثلاً، «مع أنَّ عائدات كوكاكولا من الشرق الأوسط تمثل أقل من ٢٪ من مجمل أعمالها، فإنَّ ما يثير غيظ كوكاكولا هو أن تتخلف عن بيبيسي في المنطقة»^(٨) إنَّ المقاطعين يعملون محلياً - تماماً مثلما تدعي كوكاكولا أنَّها تفعل؛ ولذلك لن تؤذي مقاطعتنا لمنتجات كوكاكولا في لبنان مثلاً العمال الفلسطينيين في فلسطين. بل إنَّ مقاطعتنا لن تؤدي بالضرورة إلى صرف العمال في أي بلد، هذا إذا قررت كوكاكولا أنَّ دعمها للكيان الصهيوني باهظ الثمن. إنَّ مقاطعة كوكاكولا سيحدث هذه الشركة على أن تدرك سبب عدم نموها بمقدار نمو منافساتها، وستعطي هذه الشركة في لبنان وفي العالم فرصة إعادة النظر في أجندتها السياسية. لقد شهدنا بأم العين نجاح استراتيجية المقاطعة في حالة ستاربكس، التي أغلقت كافة فروعها الستة في «إسرائيل» في نيسان ٢٠٠٣. فإذا كنتم تريدون أن تقاطعوا شركة ليست ضرورية لحياتكم ولكنَّها ضرورية لحياة إسرائيل الصهيونية، فإنَّ كوكاكولا هي المطلوب... بالتأكيد.

بيروت

قبل الانتفاضة. الآن نزود حوالي ١٠ فقط»^(٩) وفي تقرير Businessweek أنَّ نصف الدكاكين التي كانت تشتري كوكاكولا توقفت عن ذلك لأنَّ زبائنها لم يعودوا يستطيعون دفع الثمن^(١٠). بل صرفت «الشركة الوطنية للمشروبات» عشرات العمال بعيداً زيارة شارون إلى المسجد الأقصى لأنَّ كوكاكولا لم تستطع تسويق منتوجاتها في كامل الضفة وغزة بسبب إغلاق الاحتلال لعشرات البلدات^(١١). وكان ذلك قبل أن يبدأ الزبائن، على ما يقول أحد باعة الجملة في الخليل، يشعرون أنَّهم «بشراهم قنينة كوكاكولا يسهمون عن غير قصد في قتل طفل فلسطيني في جنين وغزة»^(١٢) وبحلول شباط ٢٠٠٣ انخفض عدد الموظفين في الشركة إلى ٢٠٠، بحسب مدير العلاقات في كوكاكولا - المملكة المتحدة^(١٣)، إنَّ، بدلاً من أن تتبجح كوكاكولا بـ «دعمها» لثبات الفلسطينيين كان يجدر بها أن تحتج على إجراءات إسرائيل غير الشرعية التي تظال ملايين الفلسطينيين.

إذا كان خَيْر أي شركة يتوقف على عدد الفلسطينيين الذين توظفهم، فإنَّ علينا أن ندعم قطاع بناء المستوطنات اليهودية بشكل خاص! لكنَّ هناك أهدافاً أخرى يجب تحقيقها غير (بل وقبل) تأمين وظائف للفلسطينيين. لقد أدى الحصار الإسرائيلي للمجتمع الفلسطيني إلى انخفاض ناتجه القومي بنسبة ٥٠٪، وهي أعلى بكثير من أن تستطيع كوكاكولا وحدها أن تسترجعه. وثمة مليون فلسطيني يعيشون على أقل من دولارين يومياً. بالمقارنة مع هذه الأرقام والنسب يبدو «إسهام» كوكاكولا في المجتمع الفلسطيني ضئيلاً جداً. أليس على كوكاكولا - رام الله، بدلاً من أن تركِّز على الثلاثين ألف فلسطيني (على الأكثر) الذين كانوا يتلقون دعماً مباشراً أو غير مباشر من بيع كوكاكولا في مناطق ٦٧، أن تفتح عينها «لترى كيف تمنع «إسرائيل» مئات آلاف الفلسطينيين من إعالة أنفسهم وعائلاتهم؟ أليس الأفضل أن تفتح عينها لترى أيضاً كيف يسهم شريكها/ الشركة الأم في أتلانتا في دعم إسرائيل العنصرية؟

«كوكاكولا هي المطلوب» (شعار الشركة عام ١٩٨٢)

والآن كيف ينظر زاهي خوري إلى المقاطعة الهادفة إلى دعم الفلسطينيين؟ «أعتقد أنَّهم [المقاطعين] يضرُّون أنفسهم. لو لم

١ - ٢. Peter Lagerquist, Businessweek, July 30, 2001.

٢ - ٣. Elias Zanariri, Arabic Media Internet Network, Oct. 8, 2001.

٤ - ٤. Khaled Amayreh, IAP News, May 6, 2002.

٥ - ٥. "The Muslim Cola Wars," AP, Feb. 7, 2003.

٦ - ٦. Massoud Derhally, Business Trends, June 3, 2002.

٧ - ٧. Michael F. Jacobson, http://www.cspinet.org/sodapop/liquid_candy.htm

٨ - ٨. John Henley and Jeevan Vasagar, The Guardian, Jan. 8, 2003.